

مملكة الأنباط في روايات كتاب الحضارة العربية للمستشرق الفرنسي جاك ريسلر

The Nabataean Kingdom in the book "Romanticism of Arab Civilization" by the French orientalist Jack Ressler

¹ م.م. زينب جميل عبادي، رئاسة جامعة بابل/مركز التوفل

zainab.alhimyariB@uobabylon.edu.iq

تاريخ الاستلام: 2025/10/17 تاريخ القبول: 2025/10/26 تاريخ النشر: 2025/11/13

ملخص:

تتناول هذه الدراسة موضوع مملكة الأنباط في روايات كتاب الحضارة العربية للمستشرق الفرنسي جاك ريسلر، بوصفها إحدى الممالك العربية التي لعبت دورًا محوريًا في تاريخ المنطقة قبل الإسلام. فقد شكّل الأنباط قوة تجارية وحضارية بارزة منذ القرن الثالث قبل الميلاد، وأسهموا في ربط طرق التجارة بين الجزيرة العربية وبلاد الشام ومصر، مما جعلهم في موقع استراتيجي مهم أثر في توازن القوى الإقليمية.

يركز البحث على تحليل رؤية جاك ريسلر لمكانة الأنباط ضمن مسار الحضارة العربية، من خلال قراءة نقدية لمضامين كتابه الحضارة العربية. إذ يعرض ريسلر صورة إيجابية نسبيًا للعرب عامةً، ويسعى إلى إبراز إسهاماتهم في الثقافة والفكر والعمارة والتجارة، ومن ذلك حضارة الأنباط التي مثّلت نموذجًا للانتقال من حياة البداوة إلى الاستقرار والتحضّر. ويلاحظ أن ريسلر قدّم الأنباط باعتبارهم حلقة وصل بين العالم العربي القديم والحضارات المجاورة، وأشاد بقدرتهم على التكيف مع بيئتهم وإرساء نظم سياسية وقانونية متطورة قياسًا بزمائها.

الكلمات المفتاحية: الأنباط، الاستشراق، الإمبراطورية الرومانية، الحضارة العربية.

Abstract:

This study examines the Nabataean Kingdom as portrayed in Jacques C. Risler's book *La Civilisation Arabe* (The Arab Civilization), considering it as one of the prominent Arab kingdoms that played a pivotal role in the history of the region before Islam. The Nabataeans emerged as a major commercial and cultural power from the third century BCE, controlling trade routes linking Arabia, the Levant, and Egypt, which placed them in a

strategic position that significantly influenced the regional balance of power.

The research focuses on analyzing Risler's vision of the Nabataeans' place within the broader trajectory of Arab civilization, through a critical reading of his work *The Arab Civilization*. Risler presents a relatively positive image of the Arabs in general, emphasizing their contributions to culture, thought, architecture, and trade. In this context, he views the Nabataeans as a model of transition from nomadic life to settlement and urbanization. He highlights their role as a bridge between ancient Arab society and neighboring civilizations, and praises their ability to adapt to their environment while establishing advanced political and legal systems for their time.

Keywords: Nabataeans, Orientalism, Roman Empire, Arab civilization,

مقدمة:

تعد مملكة الأنباط من أبرز الممالك العربية التي ظهرت في شمال شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام، حيث أسست حضارة متميزة في مجال التجارة والعمارة والإدارة منذ القرن الثالث قبل الميلاد حتى سقوطها بيد الرومان سنة 106م. وقد ارتبطت صورتها في المصادر الغربية بروايات المستشرقين الذين سعوا إلى إبراز دور العرب قبل الإسلام في بناء حضارة متكاملة، ومن بينهم المستشرق الفرنسي جاك ريسلر في كتابه "الحضارة العربية"، الذي تناول فيه مظاهر الإسهام العربي في التاريخ الإنساني.

ويعد جاك ريسلر واحدًا من أبرز المستشرقين الفرنسيين في القرن العشرين، حيث اهتم بتاريخ العرب وتراثهم الفكري والثقافي، وسعى من خلال مؤلفاته إلى إبراز المكانة الحضارية للعرب ودورهم في رفد الإنسانية بالعلم والمعرفة. وقد تميّزت كتاباته بالتركيز على الأبعاد الفكرية والثقافية للحضارة، مع إبراز روح الانفتاح والتفاعل بين العرب وحضارات اليونان والرومان والفرس. ومن خلال كتابه "الحضارة العربية" الذي تُرجم إلى العربية، حاول ريسلر أن يقدّم صورة موضوعية تُظهر أن العرب لم يكونوا مجرد ناقلين، بل مساهمين فاعلين في مسيرة الحضارة الإنسانية.

ومن هنا، تأتي هذه الدراسة لتسلّط الضوء على موضوع بحثنا المعنون بـ (مملكة الأنباط في روايات كتاب الحضارة العربية للمستشرق الفرنسي جاك ريسلر (دراسة تحليلية) لتبين رؤية ريسلر لمملكة الأنباط، من خلال تحليل منهجه في عرض الأحداث، ورصد مدى موضوعيته في مقارنة التراث العربي، فضلاً عن استجلاء ما قدّمه من دلالات حضارية حول طبيعة المجتمع النبطي وصلته بالبيئة

العربية عامة. ولا تقتصر هذه الدراسة على العرض الوصفي، بل تسعى إلى مقارنة نقدية تحليلية تستحضر السياق التاريخي للأنباط، وتضع روايات ريسلر في ميزان المقارنة مع الدراسات الحديثة، لتبيان قيمة ما طرحه وإبراز موقع الأنباط في السردية الحضارية العربية.

قسم البحث على مبحثين، تناول المبحث الأول التعريف بمصطلحات البحث ، منها: حياة المؤلف وتحديد موقع شمال الجزيرة العربية، بينما ركز المبحث الثاني على دراسة قيام مملكة الأنباط وعلاقاتها السياسية بالإمبراطورية الرومانية، إذ عنيينا ببيان تأسيس المملكة العربية وعلاقتها بروما إبان ذلك العهد. اعتمد البحث على مجموعة من المراجع التاريخية المهمة الكلاسيكية منها والعربية التي كانت خير عون لنا في إغناء البحث بالمادة المطلوبة

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث

أولاً- حياة جاك ريسلر الاجتماعية والعلمية

1-حياته الاجتماعية:

لم تزودنا المصادر بمعلومات وافية عن حياته الاجتماعية، إذ إننا ومن خلال اطلاعنا على المصادر التي حصلنا عليها، تبين لنا أنه مستشرق فرنسي متخصص في الدراسات الإسلامية (الأزرق، 2025م، ص77)، ولد عام 1893 ووفاته في عام 1971م (سعد الله، 2025م ، ص127).

2-حياته العلمية:

باحث فرنسي معاصر، واستاذ بالمعهد الإسلامي في باريس (خليل، 1992م، ص15).

ثانياً- وصف الكتاب

اعتمدنا في دراستنا هذه الكتاب المعنون بـ(الحضارة العربية) ترجمة: الدكتور خليل أحمد خليل، وهو من منشورات عويدات، بيروت، للعام 1993 في طبعته الأولى، وقد قسم الكتاب على أربعة أبواب، الباب الأول حمل عنوان الأسس، وقد قسم على ثمانية فصول، حمل الفصل الأول عنوان في أزمنة ما قبل الإسلام، أما الفصل الثاني فركز على دراسة شعوب الشرق، والفصل الثالث درس الينابيع المادية والمعنوية، وعُني الفصل الرابع بدراسة محمد والقرآن، أما الفصل الخامس تناول الدين والفكر الإسلامي، بينما اهتم الفصل السادس بتسليط الضوء على توسع الإسلام، ودراسة الآداب والتقاليد في الإسلام في الفصل السابع، في حين جاء الفصل الثامن تحت عنوان تطور الدولة والأمة.

وفي الباب الثاني الذي عنوانه جاك ريسلر بـ (دورة الحضارة العربية)، قسمه على خمسة فصول متباعدة تسلسل الباب الأول، ففي الفصل التاسع تناول الحياة الاجتماعية، وفي الفصل العاشر درس الحياة الثقافية والفنية، أما الفصل الحادي عشر فقد سلط الضوء فيه على الزراعة/الصناعة/ التجارة، وبغداد وبلاط الخلفاء في الفصل الثاني عشر، وإسلام المغرب في الفصل الثالث عشر.

جاء الباب الثالث تحت عنوان (أثرها في الحضارة العربية)، وقد خصص له خمسة فصول، وأيضاً تابعة للباب الثاني، فقد درس الفصل الرابع عشر الآداب والفنون، وتناول الفصل الخامس عشر العلوم الدقيقة، أما الفصل السادس عشر فتناول التطبيقات العملية، أما الفصل السابع عشر فدرس فيه الطب، والثامن عشر عُني بدراسة الفلسفة.

وأخيراً تناول الباب الرابع (الانحلال)، وجاء على ستة فصول، حمل الفصل التاسع عشر عنوان الأندلس، أما الفصل العشرون انحلال الإمبراطورية، في حين سلط الفصل الحادي والعشرون الضوء على الحملات الصليبية، وركز الفصل الثاني والعشرون على دراسة انعكاسات مشرقة، أما الفصل الثالث والعشرون فتناول فيه السلالات الأخيرة، والفصل الأخير الذي جاء بتسلسل الرابع والعشرون حمل عنوان سبات الإسلام؟

تركزت دراستنا في بحصنا هذا حول الفصل الأول من الباب الأول من الكتاب (في أزمنة ما قبل الإسلام)، وعكفنا فيه على دراسة أهم الممالك العربية التي قامت في شمال شبه الجزيرة العربية، في ضوء روايات جاك ريسلر عنها التي تناول فيها نشوئها من بداية تأسيسها حتى أقولها على يد الإمبراطوريات العظمى آنذاك، معللاً اسباب قيامها في منطقة ما دون غيرها.

ثالثاً- الغرض من تأليف الكتاب:

يعد كتاب جاك ريسلر من الكتب المهمة التي تناولت العرب في الأزمنة التي سبقت الإسلام، فضلاً عن تناوله الينابيع المادية والمعنوية التي نهل الإسلام منها، ووصفه للأثر الساطع من الفكر العربي في الحضارات القديمة (اليعقوبي، 2023م، ص28)، وقد أكد في مقدمة كتابه ان الغرض من تأليف هذا الكتاب بما نصه: "هي محاورة القارئ الفرنسي خصوصاً، والغربي عموماً، لتعريفه بجاره العربي، التلبد والطارف، القديم والدائم، العدو والصديق. إلا أننا رأينا أن هذا الجار نفسه، يحتاج بدوره إلى أن يرى نفسه في مرآة تاريخية غير المرآة الذاتية وما عكس فيها مما يحلو لذاته ويطيّب" (ريسلر، 1993م، ص5).

وبالتالي يتبين لنا أن جاك ريسلر من المستشرقين المعتدلين الذين يحاولون إيصال الصورة الحقيقة عن العرب، بوصفهم أهل حضارة وعلم وسياسة واقتصاد قبل أن تتكرم بلادهم بحمل راية الاسلام.

المبحث الثاني- قيام الأنباط وعلاقاتها السياسية مع الإمبراطورية الرومانية في روايات جاك ريسلر:

أولاً-قيام مملكة الأنباط:

تناول جاك ريسلر في كتابه (الحضارة العربية)، عدد من الممالك التي نشأت في شمال الجزيرة العربية في المدة التي سبقت الإسلام، ومن أهم هذه الممالك بحسب تسلسلها الوارد في رواياته، هي مملكة الأنباط، والتي يتوجب علينا بداية تحديد أهم أركان قيامها المتمثلة بـ:

أ-الموقع:

مملكة عربية قامت في شمال الجزيرة العربية، وهي " رقعة تمتد من خليج العقبة إلى البحر الميت شمالاً وتشمل كثيراً من الحجاز" (ريسلر، 1993م، ص 23).

يتضح لنا من نص ريسلر، ما يأتي:

1- اهتمامه بتحديد الرقعة الجغرافية التي قامت عليها هذه المملكة العربية، إلا أنه لم يكن دقيقاً في تحديد المدن والمناطق التي شملتها مملكة الأنباط، وهذا أمر على قدر كبير من الأهمية، لذا يلحظ لدينا أن مملكة الأنباط دمشق وسهل البقاع والأقسام الجنوبية والشرقية من فلسطين وحوران وأدوم ومدين وسواحل البحر الأحمر (الملاح، 2008م، ص 118-130).

كان مقر دولة الأنباط بالتحديد في الجنوب الشرقي من فلسطين، وتمتد منها إلى رأس خليج العقبة ويحدها من الغرب وادي العرابة ومن الجنوب بادية الحجاز ومن الشرق بادية الشام ومن الشمال فلسطين وهي أرض صخرية فيها الجبال والشعاب وكانت تسمى قديماً بلاد الجبال، واليونان يسمونها بلاد العرب الحجرية Arabia Petraea نسبةً إلى عاصمتها فان اسمها عندهم بترا (الحجر) (سالم، د.ت، ص 230).

2- إن موقع الانباط أنف الذكر قد اتخذ لأهمية تجارية برية وبحرية، فمن الناحية الأول فهي تقع على الطرق التجارية التي تربط بين تجارة الجزيرة العربية والممالك الأخرى عبر البحر المتوسط،

وأهما الطريق التجاري الذي أسسه الأخمينيون* في القرن السادس قبل الميلاد وأصبح فيما بعد شريان المواصلات التجارية بين آسيا وأفريقيا (الذبيب، 2009م، ص9)، أما في التجارة البحرية بوصفه مطلقاً على إحدى المنافذ البحرية فقد وصلتنا معلومات أن القرن الرابع قبل الميلاد شهد أول عمل تجاري للأنباط في البحر، إذ أنهم قاموا بجلب منتجات جنوب الجزيرة العربية كالبخور والمر والتوابل التي يحصلون عليها من تجار العربية السعيدة إلى البحر الأحمر، ولأهمية هذا الموقع التجاري المهم أراد انتيجونوس* السيطرة عليها، إلا أنه فشل بعد تصدي الأنباط لهذه الحملة (العبد الجبار، 2011م، ص3).

ب-العاصمة:

وقد حدد ريسلر عاصمة الأنباط بما نصه: "وكانت قصبتهما البتراء الواقعة في المملكة الأردنية حالياً" (ريسلر، 1993م، ص23).

أطلق الإغريق على الأنباط بلاد العرب الصخرية، ومنها اتخذت البتراء تسمية الصخرة لتطلق عليه بصورة عامة، وسلع في التوراة، وتعني: الشق في الصخر، وهذا متأتي من مدخل البتراء الذي يتسم بوجود أهدود عميق بين جبلين يعرف اليوم، باسم: السيق (سالم، د.ت، ص185)، فضلاً عن ذلك ان سبب الاختيار استراتيجي أيضاً فموقع العاصمة يقع حيث يلتقي طريقان، الأول من سورية من طريق تدمر، وآخر يأتي من غزة (هيلند، 2010م، ص101). وعرفت أيضاً باسم: الرقيم، وهي كلمة معربة لاسم أطلقه الإغريق عليها وهو (Arke) فحرفها العرب، وقالوا: الرقيم، وتعني: النقش القديم، أما اليوم فهي تعرف باسم: وادي موسى، وموقعها الاستراتيجي على سطح هضبة قاحلة يصل ارتفاعها إلى ما يقرب من 3000 قدم، وتحيط بها الجبال من كل الجهات إلا من خلال الممر الصيق المعروف بـ السيق (سالم، د.ت، ص185).

* الأخمينيون: هم أسرة ملكية فارسية كونت لها إمبراطورية أسسها كورش الثاني عام 550 ق.م، واستولت على ليديا (غرب الأناضول) إيران والهلال الخصيب ومصر، وامتدت في أوجها لتشمل جميع أرجاء الشرق الأدنى، بدءاً من وادي السند إلى ليبيا وشمالاً حتى مقدونيا، وبذلك سيطروا على جميع الطرق التجارية المؤدية إلى البحر المتوسط عبر البر والبحر من أشهر ملوكها داريوس الذي حاول غزو أثينا باليونان فهزم، سقطت هذه الإمبراطورية على يد الاسكندر المقدوني سنة 331 ق.م. للمزيد من المعلومات ينظر: النواب، سياسة الدولة الأخمينية (قراءة تاريخية)، ص217.

* انتيجونوس: أحد قادة الاسكندر المقدوني الذي تغرد بحكم المنطقة الآسيوية من إمبراطورية الاسكندر في المدة من 316-301 ق.م. ينظر: الذبيب، التاريخ السياسي للأنباط، ص26.

ج-أول ملوكهم:

يرى ريسلر أن النقوش النبطية كانت سبباً في التعرف على نظام حكمهم وملوكهم، وقصد بذلك: "وأول ملك نعرفه من النقوش هو أريتاس (الحارث) وذلك في عام 169 ق.م." (ريسلر، 1993، ص 23).

يتضح من نص ريسلر، أن النقوش النبطية كانت السبب الرئيسي في الوقوف على أول ملوك هذه الدولة وهو الحارث محدداً ذلك عام 169 ق.م.

إن تاريخ هذه المملكة موغل في القدم، والمعلومات التي وصلتنا هي نفسها كانت محط اختلاف بين الباحثين، ولا سيما فيما يتعلق ببداية قيام هذه المملكة ومن ثم انتقال الاختلاف إلى ملوكها وعددهم وسني حكمهم، إلا أن الأقرب لنا هو ما ذكرته النقوش، ولا سيما النقش الذي عثر عليه في منطقة تل الشقيفية في سيناء والتي تعود لعام 77م (عبيدات، 1994، ص 33)، كما ذكر هذا الملك في سفر المكابيين الثاني، عندما وصفه بالطاغية*.

يتضح لنا من نص ريسلر ما يأتي:

1- حدد ريسلر أول ملوكهم هو الحارث الذي تولى الحكم عام 169 ق.م وهو بالأصل كان يعرف بـ (الحارث الثالث) وقد سبقه أربعة ملوك اثنان منهم حملوا اسم الحارث.

2- أن ما ورد في النص الأنف الذكر يبين لنا أن أول من اكتسب لقب الملك بصفة رسمية من قبل روما أولاً وعلى وفق ما بينته النقوش والكتابات النبطية هو الحارث الثالث؛ لذا عده أول ملك عرفه.

ثانياً- العلاقات بين الأنباط والإمبراطورية الرومانية:

وأشار ريسلر إلى بداية العلاقة بين روما والأنباط، فعندما ضم الرومان سورية في عام 63 ق.م صاروا قريبين من حدود المملكة النبطية (هيلند، 2010، ص 102)، لذا وجودوا في روما خير صديق، والعكس صحيح بالنسبة لروما أيضاً، وأشار ريسلر إلى ذلك، بقوله: "وقد قامت مملكة الأنباط بصلاتها الأولى مع روما في عام 65 قبل الميلاد عندما زار بومبي البتراء" (ريسلر، 1993، ص 23).

* وذلك في اثناء الصراع اليهودي على تولي منصب الكهنوت الأعظم، وقد ساعده هذا الملك العربي في الحصول عليه بعد أن حصل على مائة وستين قنطاراً من الفضة. ينظر: سقر الكابيين الثاني 4: 7-

يتضح من رواية ريسلر أن العلاقة بين روما والأنباط بدأت عندما زار بومبي قائد الجيش الروماني بلادهم في عام 65 ق.م، وهذا في الحقيقة يجافي الحقيقة التاريخية التي ذكرت من لدن الكتاب العرب، فبعد توسع الرومان سيطرتهم في سوريا وصلوا إلى بلاد الأنباط عام 63 ق.م، ولم يحاولوا السيطرة على البلاد بسبب طبيعة بلادهم الصحراوية الفقيرة، لذا قرروا أن يتكروا عليها حاكماً محلياً في السلطة طالما أن السيادة الرومانية معترف بها اسمياً (هيلند، 2010م ص 102).

في حين رأى آخر إن مملكة يهوذا شهدت انقساماً سياسياً بعد وفاة اسكندر جينوس، بين ولديه ارستوبولس وهركانوس الذي فر إلى البتراء لمساعدته، في حين وجد ارستوبولس من الرومان أفضل حليف له ضد الأنباط، وفي هذه الأثناء أدرك الحارث بعدم قدرته على مواجهة روما وجيشها، فقام بفك الحصار الذي فرضه على مملكة يهوذا وعند عودته هاجمه قائد الحملة الرومانية فانتهصر على الحارث وقتل ستة آلاف من اتباعه، ثم هددوا الأنباط بالزحف إلى بلادهم وتدميرها، فوجد الحارث أنه من المستحيل الثبات أمامهم وتم عقد الصلح بين الطرفين على أن يدفع الحارث جزية للرومان، وعدّ بومبي ذلك خضوع منهم لروما (الشيخ، العرب قبل الاسلام، ص 127-128).

لذا يمكننا القول أن عملية التعاون تمت بين الطرفين على أساس الصلح والقناعة بين الطرفين من دون خوض الصراع والقتال؛ لأن ذلك يقوض مصلحتهما في المنطقة، فالبتراء تجد في روما خير حليف لها ضد خلفاء الاسكندر في المنطقة، وربما تجد في الأنباط خير صديق في الوقوف بوجه الغزوات القادمة من الصحراء العربية ضد قواتهم وضد القوى الأخرى الطامعة في مستعمراتها في سوريا، وقد وجدت روما في هذه المملكة وتحالفها معها يخدم مصلحة روما في المنطقة، وقد بين ريسلر الهدف من ذلك "وقد اقام الرومان علاقات ودية مع المملكة العربية التي كانت بمثابة دولة حاجزة بين بلاد الشرق الروماني المستقرة وبين الصحراء التي لا يمكن إخضاعها" (ريسلر، 1993م، ص 23).

وقول ريسلر هنا يبين هدف روما الحقيقي من عقد التحالف مع الأنباط، هو لاتخاذها حاجزاً، بمعنى: مصداً ضد الناطق الصحراوية القاسية التي يصعب على روما وجيشها الدخول لها وخوض القتال، في حين ان الانباط هم أهل تلك المنطقة وعلى دراية تامة بطبيعتها ومداخلها ومخارجها.

1- حملة اليوس جالوس:

ذكر ريسلر الحملة الرومانية التي استهدفت جنوب الجزيرة العربية، موضحاً الهدف الرئيس لهذه الحملة، بقوله: "وكان الحافز إليها للسيطرة على المنفذ الجنوبي لطريق التجارة إلى الهند" (ريسلر، 1993 م، ص 23).

إن هدف هذه الحملة كما هو واضح هدف اقتصادي بحت، ونتيجة لما تتمتع بها بلاد الجنوب من منتجات زراعية مهمة، فضلاً عن سيطرتها على الطريق التجاري الذي يربط بالهند، وجدت روما من مصلحتها إرسال حملة عسكرية للسيطرة على اليمن، وقد توضح ذلك في قول سترابو: "أنهم أغنياء، وأنهم يحصلون على الذهب والفضة مقابل النباتات العطرية والأحجار الكريمة، ولكنهم لا يدفعون شيئاً مما يحصلون عليه للناس في الخارج، وكان يأمل إما أن يفيد من أصدقاء أغنياء، أو أن يتغلب على أعداء أغنياء" (ريسلر، 1993 م، ص 23).

يتضح لنا من النص السابق إن الهدف الحقيقي هو هدف اقتصادي بحت، يتمثل في السيطرة على اليمن سواء أكان من طريق الصداقة أم القوة بفعل فرض الهيمنة عليها من أجل الوصول إلى الهدف التي سعت إليه روما.

فضلاً عن أهمية وصول روما إلى البحر الأحمر وإلى المحيط الهندي وصولاً إلى سواحل أفريقيا أو جنوب الجزيرة العربية أو الهند فيشتروا من موانئها واسواقها ما يريدون بسعر رخيص فيستفيدوا وتستفيد حكومتهم ويخسر التجار العرب (سحاب، 1992 م، ص 92).

وقد وصف ريسلر (الحضارة الغربية، ص 23) ان الأنباط اتخذت قاعدة لتلك الحملة التي حددها سنة 24-25 ق.م، وحدد مهران ان مشروع حملة (إليوس جاليوس) للاستيلاء على اليمن حدث عام 24 ق.م (مهران، د.ت، ص 274؛ برو، 1996 م، ص 81)، حيث صدر أمر الإمبراطور أوغسطس إلى نائبه الروماني على مصر أيلوس جالوس بمهمة إرهاب العرب أو احتلال أرضهم، فترأس جيشاً كثيفاً وانضم إليه عدد كبير من اليهود وألف رجل من الأنباط حلفاء الرومان. وخرج الجيش في عام 24 ق.م على متن أسطول كبير (قيل إنه تألف من 130 سفينة) (صالح، د.ت ص 103) ونزلت في الميناء النبطي نيجرا أو لوكي كومي الواقع على البحر الأحمر إذ كانت سيطرة الأنباط تمتد إلى هذه الجهات (برو، 1996 م، ص 81)، ومن الأمور الأخرى التي قدمها الأنباط لهذه الحملة (الذييب، 1426 هـ، ص 25):

- 1- دعمت الحملة عسكرياً ولوجستياً.
- 2- السماح للجيش بالمرور في الأراضي التابعة للمملكة النبطية، وحسن استقبال الجيش من ولاية المناطق التي مروا بها.

3- استقبال والي إحدى المناطق الجنوبية وهو قريب للملك عبادة يدعى الخارثة أو تهيئة المكان المناسب لإقامة المعسكرات والمخيمات العسكرية لهذا الجيش.

وقد بين ريسلر في روايته وصول القوات الرومانية إلى اليمن، مشيراً إلى ذلك: "ونجح في النزول إلى اليمن والتغلغل بعيداً في الداخل، ولكن الحملة باءت بالفشل ذريع، وانتهت بانسحاب روماني مخزٍ" (ريسلر، 1993 م، ص 23).

وهذا أمر لا يختلف عليه اثنان في وصول الحملة إلى اليمن وتمكنت من الدخول إلى مدينة نجران ونشق وقد سلمها حكامها من دون قتال، لكن بعد خروجها منها هاتين المدينتين ووصوله إلى مدينة سبأ وبعد حصار ستة ايام لها عجز قائد الحملة من الدخول؛ بسبب المقاومة الكبيرة التي أبدتها العرب، فقد دارت معركة حامية بين الجيشين عند نهر (خارد) وبعد هذا الفشل عادت الحملة إلى مصر، وتعرض الجيش الروماني إلى ظروف صعبة (حساني، ص 268)، لاسيما الصحراء والشمس ونقص الماء كل ذلك تسبب في مشكلات جسيمة لرجالها لدرجة ان الجزء الأكبر من جيشه قد هلك نتيجة إصابتهم بأمراض مختلفة (ديوكاسيوس، 2017 م، ص 69).

وروى ريسلر أن الروم توقفوا بعد فشل هذه الحملة، ولم يبدوا رغبتهم في السيطرة على اليمن مرة أخرى، وبين ذلك بما نصه: "وهذه الحملة التي أرسلها أوغسطس* لغزو اليمن كانت المحاولة الرومانية الأولى والوحيدة للتغلغل في بلاد العرب" (ريسلر، 1993 م، ص 23).

بدأ الروم يغيرون سياستهم نحو اليمن بعد فشل حملتهم هذه، فتخلوا نهائياً عن السيطرة العسكرية، وإن اتجهوا في الوقت نفسه نحو تقوية أسطولهم في البحر الأحمر، ويقول سترابو أنهم كانوا يرسلون سنوياً ما لا يقل عن 120 سفينة إلى الهند، وهو عدد لم يتعودوا إرساله فيما مضى، كما عثر في

* أوغسطس: اسمه الحقيقي (أوكتافيوس)، وأغسطس لقب أطلق عليه بعد معركة أكتيوم عام 31 ق.م، ولد في روما عام 63 ق.م، من عائلة فنية وحترمة تنتمي إلى طبقة الفرسان الرومانية، كان طفلاً يتيماً تولت رعايته أخت القائد يوليوس قيصر، ضم خاله القيصر نفسه، وأصبح المستفيد من وصيته في الحكم، تولى الحكم بعد معركة أكتيوم ضد كليوباترا، وكانت سبباً في تغيير النظام في روما من جمهوري إلى إمبراطوري، استمر حكمه 45 سنة حتى وفاته عام 14 ق.م عن عمر خمسة وسبعون عاماً. للمزيد من المعلومات ينظر: الذيب، سليمان بن عبد الرحمن، الحملة الرومانية على جوب غرب شبه الجزيرة العربية، ص 21-22.

الهند على نقود رومانية، أضف على ذلك أن وجود معبد لأغسطس في (موزيريس) بساحل (مالابار) يدل على أن عدداً غير قليل من التجار اليونان والرومان كان يقيم هناك (مهران، د.ت، ص 276-277).

هذا وقد عمل الروم في الوقت نفس على تقوية علاقاتهم بالعربية الجنوبية، فاحتلوا ميناء عدن إبان حكم الإمبراطور كلاوديوس* (41-54م)، أو قبله التحالف مع أمير ظفار، مقرونا بوجود حامية رومانية في عدن، أمراً لا شك في أنه كان ضماناً كافياً لسلوك العرب الجنوبيين مسلحاً طبيياً، يضمن للروم نفوذاً تجارياً في عدن، وإن كان الرومان لم يحتلوا جنوب شبه الجزيرة العربية في يوم من الأيام (فخري، 1963م، ص 142).

2- سوء العلاقة بين الأنباط وروما:

حدد ريسلر أن القرن الأول الميلادي كان التاريخ لبداية سوء العلاقة بين روما والأنباط، بما نصه: "وفي القرن الأول ب.م، ساءت العلاقات الرومانية النبطية" (ريسلر، 1993م، ص 23).

إن الظروف السياسية بدأت تتغير بعد مجيء ملوك ضعاف، لم يكونوا بمستوى التحديات المحيطة ولا سيما انهيار اقتصادهم الوطني، بعد فقدان الأنباط للموارد التجارية التي كانوا يحصلون عليها من الطرق البرية والبحرية القادمة من جنوب الجزيرة العربية، المتجهة شمالاً نحو المحطات والموانئ النبطية، فقد تغيرت تلك الطرق بفعل تحكم روما بها، وأصبحت القوافل التجارية تسلك مياه البحر الأحمر إلى الموانئ المصرية بأشرافهم (يحيى، 1979م، ص 432)، ولم يتخذ أية إجراءات من شأنها المحافظة على ديمومة بلادهم، فتمزقت البلاد وانسلخت دمشق وإقليم حوران من الأنباط أيام مالك الثاني (40-71م) (مهران، د.ت، ص 519)، أما رب إيل الثاني (70-106م) الذي كان صغيراً وحكم تحت الوصاية (الشيخ، د.ت، ص 135؛ الملاح، 2008م، ص 127)، بعد أن فقدت الأولى أهميتها التجارية، فهو غير مؤثر في السياسة أو الاقتصاد، مستسلم لأهوال الظروف تسيره كما تشاء، وقف مكتوف اليدين أمام التحديات الرومانية وترك البلاد تنهار باقتصادها المتردي، حتى دخلها الرومان عام 106م وأصبحت جزءاً من الولاية العربية (علي، 1993م، ج 3، ص 49).

* كلوديوس: رابع الأباطرة الرومان، حكم للمدة 41-54م، كان أعرج يعاني من التأثأة، مما أدى إلى استبعاده من أي منصب حكومي في الدولة، انقضت هذه الإعاقة من حملات التطهير التي سادت في عهد كاليجو وتيبيريوس، وأدت نجاته من هذه الحملة إلى إعلانه إمبراطوراً بعد اغتيال كاليجولا. الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ص 150-151.

إذ بدأت قبائل البدو تشكل خطراً حقيقياً على سياسة روما في الشرق، فضلاً عن ذلك شكلت تهديداً لتجارة روما الشرقية، مما يدل على عجز الدولة النبطية في حماية حدودها المتفق على تأمينها من قبل الأنباط على وفق الاتفاقية التي عقدت بينهما في وقت سابق؛ لذا اصدر الإمبراطور تراجان* أمره بالقضاء على المملكة النبطية وجعلها ولاية رومانية.

وكذلك بعد أن سيطرت روما على مصر وسوريا وفلسطين، وقد بدأت تعد العدة للصدام مع البارثيين* مما يتطلب ضم جميع الدول التي تفصل بينهم وبين أعدائهم، الذي هم أيضاً كانت لديهم رغبة في توسيع حدود مملكتهم على حساب الممالك العرب المحاذية لممتلكات روما؛ لذا اراد الإمبراطور تراجان ان يستولي على الأنباط في محاولة منه لعبور الفرات والوصول إلى شاطئ الخليج ؛ لغرض دهم موقعه الجنوبي حتى لا يأخذه البارثيون أو القبائل العربية على حين غرة، وفي الوقت نفسه وجدت روما في الأنباط في تلك المدة حالة من الضعف (الفتيان، 1978م، ص424)، إذ أن البارثيين منذ عام 52 ق.م بدأوا بالتقدم فيما وراء الفرات وانتصروا على كل الولايات الواقعة إلى الشرق من هذا النهر وبعد ذلك غزوا سوريا وتمكنوا من التوغل في مدن عديدة (ديوكاسيوس، 2017م، ص51).

* تراجان: ولد ماركوس أوليسو تراجانوس في إيطاليا الإسبانية عام 52م، وهو أول إمبراطور غير روماني يجلس على العرش، تقلد عددا من المناصب في سوريا وإسبانيا وألمانيا، وفي سنة 98م أصبح إمبراطوراً بعد الانتصارات الكبيرة التي ألهته للحصول على لقب (جرمانيكوس) أي (فاتح ألمانيا وقاها)، تبني سياسة التوسع واستولى على مدن عديدة ضمها إلى روما، ووسع سيطرته على الشرق فضم مملكة الأنباط إلى (الولاية العربية) وضم أرمينيا وهاجم البارثيين واستولى على عاصمتهم طيسفون، توفي عام 117م في مدينة سلينوس بآسيا الصغرى. للمزيد من المعلومات ينظر: الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ص235-247.

* البارثيين أو الفرثيون: هم أقوام آرية بدوية رعوية سكنت أواسط آسيا، عرفوا بهذا الاسم نسبة اإلى الإقليم (بارثافا) الذي نزلوا عنده، وقد استطاعوا أن يشكلوا دولة خاصة بهم هناك، على يد أول ملوكهم أراس سنة 347 ق.م، واستمرت قوتهم تتزايد وأصبحوا يشكلون خطراً على السلوقيين، وبعد عام 126 ق.م بمجيء الملك ارطبان الثاني هو بداية الحكم الفعلي لهم على العراق والذي دم ثلاثة قرون ونصف حتى عام 227م واتسمت تلك المدة بصراع مستمر بينهم وبين الإمبراطورية الرومانية في الغرب، إذا سعد كل منهما يسط النفوذ والسيطرة على المنافذ الرئيسة التي تتحكم بطرق التجارة العالمية المؤدية إلى بلاد الشام وبلاد الرافدين وكانت ارض الجزيرة العربية ميداناً لها. ينظر: المسعل، حملات الأباطرة الرومان على الشرق (تراجان، ماركوس أوليوس، سبتيميوس سيفروس)، ص32.

فضلاً عن ذلك فقد شعر الرومان بأن دور مملكة الأنباط في التجارة العالمية قد انتهى؛ وذلك بسبب عودة السلام إلى منطقة الهلال الخصيب نتيجة الاتفاق السياسي بين الرومان والبارثيين، ومن ثم أصبحت التجارة بين الشرق والغرب تمر عبر العراق بدلاً من الطريق القديم الذي يدور حول شبه الجزيرة العربية وصولاً إلى البتراء، لأن طريق العراق هو الأقصر والأقل كلفة (الملاح، 2008م، ص 127).

لذلك أنهت روما المملكة العربية الأنباط وأدخلتها ضمن ولايتها العربية في الشام عام 106م التي كانت تحدها من الشمال أرض دمشق مما يلي حوران والجولان، ويدخل في نطاقها، مدن (درعة، وبصرى، وديوم، جرش، وبترا) (عبد الحميد، 1975، ص 146).

خاتمة:

من خلال ما تقدم يتضح أن مملكة الأنباط، يمكننا بيان الآتي

1- شكّلت نموذجاً بارزاً للحضارة العربية قبل الإسلام، حيث جمعت بين العمق العربي الأصيل والانفتاح على الحضارات المجاورة. وقد أظهر المستشرق الفرنسي جاك ريسلر في كتابه الحضارة العربية صورة متوازنة نسبياً عن الأنباط، مؤكّداً على إسهاماتهم الحضارية في مجالات التجارة والعمارة والنظم السياسية. وعلى الرغم من انتمائه إلى المدرسة الاستشراقية، إلا أن ريسلر حاول إبراز الجانب الإيجابي للحضارة العربية، ورأى في الأنباط حلقة وصل مهمة في مسار التطور التاريخي للعرب.

2- لقد بينت الدراسة أن ريسلر ركّز على الأبعاد الثقافية والفكرية أكثر من السياسية والعسكرية، وهو ما يعكس رؤيته في إبراز العرب كأمة صاحبة إسهام حضاري ممتد، وليس مجرد متلقٍ للمعرفة. ومع ذلك، فإن التحليل النقدي لروايته يقتضي مقارنتها بالمعطيات الأثرية والدراسات الحديثة، من أجل تكوين صورة أكثر اكتمالاً وموضوعية.

3- إن تناول مملكة الأنباط في كتاب الحضارة العربية يعكس تقديراً واضحاً لمكانتها في التاريخ العربي، ويؤكد في الوقت ذاته الحاجة إلى قراءة متأنية للمصادر الاستشراقية، تجمع بين الاستفادة من رؤيتها التحليلية والانتباه إلى حدودها. وبذلك يظل الأنباط شاهداً حضارياً حياً على عمق الجذور التاريخية للعرب، ودليلاً على تفاعلهم الإيجابي مع محيطهم الإقليمي والإنساني عبر العصور.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب الدينية:

-التوراة (سفر المكابيين الثاني).

الكتب الكلاسيكية:

1. إسترابون، إسترابون والجزيرة العربية، إشراف وتحرير: أ.د. عبدالله بن عبد الرحمن العبد الجبار، ترجمة: أ.د. السيد جاد، تعليق: أ.د. مسفر بن سعد الخثعمي، دار الملك عبد العزيز، 2017م.
2. ديوكاسيوس، ديوكاسيوس والجزيرة العربية، إشراف وتحرير: د. عبدالله بن عبد الرحمن العبد الجبار، ترجمة: مجدي الكيلاني، تعليق، د. جيهان شاه بهاي، دار الملك عبد العزيز، 2017م.

المراجع العربية والمعرية:

1. برو، توفيق، تاريخ العرب القديم، ط2، (دمشق: دار الفكر، سورية، 1996م).
2. خليل، عماد الدين، قالوا عن الإسلام، الندوة العلمية للشباب الاسلامي، الرياض: د.مط، 1992م).
3. النذيب، سليمان بن عبد الرحمن، التاريخ السياسي للأنباط، (الرياض: الهيئة العامة للآثار، 2009م).
4. الحملة الرومانية الأولى على جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1426هـ).
5. ريسلر، جاك، الحضارة العربية، ط1، (بيروت: منشورات عويدات، 1993م).
6. سالم، السيد عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر، د.ت).
7. سالم، عبد العزيز، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت).
8. سحاب، فكتور، إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، (بيروت: د.مط، 1992م).
9. الشيخ، حسين، العرب قبل الاسلام، (مصر: دار المعرفة الجامعية، د.ت).
10. صالح، عبد العزيز، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، (دم: مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت).

11. عبد الحميد، سعد زغلول، في تاريخ العرب قبل الاسلام، (بيروت: دار النهضة العربية، 1975م).
12. علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط2 (بغداد: جامعة بغداد، 1993م).
13. فخري، أحمد، دراسات في تاريخ المشرق القديم، (القاهرة: د.مط، 1963).
14. الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2008م).
15. مهران، محمد بيومي، تاريخ العرب القديم، (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، مصر د.ت).
16. الناصري، سيد أحمد علي، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، (بيروت: دار النهضة العربية، 1991م).
17. هيلند، روبرت، تاريخ العرب في جزيرة العرب من العصر البرونزي إلى صدر الإسلام 3200ق.م-630م، ترجمة: عدنان حسن، (بيروت: شركة قدمس للنشر والتوزيع، 2010م).
18. يحيى، لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، (بيروت: دار النهضة العربية، 1979م).

الرسائل والأطاريح الجامعية:

1. عبيدات، نسيم طلال حامد، الإشارات التاريخية في النقوش النبطية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، 1994.

البحوث والدراسات المنشورة

2. الأزرق، أحمد، آل عزه، اعتدال عبد الزهرة جواد، مواقف المستشرقين من شخصية النبي محمد (ص) السياسية ونقدها على ضوء القرآن الكريم، مجلة الجامعة العراقية، المجلد (7)، العدد (5)، آذار 2025م.
3. سعد الله، د. مكّي، مكتبة سيرة "محمد^P" الاستشرافية كتاب "باثولوجيا الإسلام ووسائل تهديمه؛ دراسة سيكولوجية" لدانييل كيمون (D.Kimon) مقارنة في تفكيك مرجعيات ونواة التأسيس لثقافة التعصب والتطرف، مجلة دراسات استشرافية، العدد (41)، شتاء 2025م.

4. العبد الجبار، عبدالله بن عبد الرحمن، تجارة الأنباط بين القرنين الرابع قبل الميلاد والثاني الميلادي، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد 5، العدد (3)، الجامعة الأردنية، 2011م.
5. الفتيان، أحمد مالك، لمحات من التاريخ السياسي للإمبراطورية البارثية 250ق.م-226م، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع22، لسنة 1978.
6. المسعل، أحمد حسين، حملات الأباطرة الرومان على الشرق(تراجان، ماركوس أوليوس، سبتيميوس سيفروس) مجلة الاستغراب، العدد(32)، 2023م.
7. النعيمات، سلامة، حملة اليوس جالوس (Aelhius Callus) من خلال جغرافية سترابو، مجلة المنارة، المجلد (6)، العدد (1)، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، الأردن، 2000م.
8. النواب، رويدة فيصل موسى، سياسة الدولة الأخمينية (قراءة تاريخية) ، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، العدد (5)، نيسان 2016.
9. اليعقوبي، نعيمة سعيد، دراسة نقدية في فكر المستشرقين جاك ريسلر وفان فلوتن، مجلة الأصالة، المجلد الثاني، ديسمبر 2023م.